**المحاضرة الخامسة**

**الفكر السياسي والمجتمع المدني:**

**يرى محمد عابد الجابري أن عبارة المجتمع المدني في اللغة العربية إنما تكتسب معناها من مقابلها الذي هو المجتمع البدوي، كما فعل ابن خلدون حينما استعمل الاجتماع الحضري ومقابلة الاجتماع البدوي، كمفهومين إجرائيين في تحليل المجتمع العربي، وبما أن القبيلة هي المكون الأساسي في البادية العربية، فالمجتمع المدني سيصبح المقابل المختلف إلى حد التضاد للمجتمع القبلي (محمد عابد الجابري، 2005 1**

**الدلالة الاصطلاحية:**

**لقد جاء أول ظهور لمصطلح المجتمع المدني société civile في اللغة الفرنسية مع ترجمة كتاب somme de théologie عن اللاتينية سنة 1546، ويطرح الكتاب مفهوم المجتمع المدني کمرادف للمجتمع السياسي أو النظام السياسي، بمعنی کنظام يخضع لتنظيم يكون فيها الأعضاء تجمعا للمواطنين compagnie de citoyen (محمد الغيلاني 2004: 26).**

أما في اللغة الانجليزية فقد استخدم مصطلح المجتمع المدني civil society للإشارة إلى أناس يقطنون في مجتمع محلي، وفيما بعد، أصبح المصطلح يستخدم بمعنيين أكثر تحديدا: الأول معناه المجتمع المتحضر والدولة غير الاستبدادية يتني هيغل تحليله للمجتمع المدني على المبدأين للمجتمع الحديث

أن الفرد لا يستهدف إلا مصالحه الخاصة في سعيه ورائها بوصفه مزيجا من الحاجة المادية والتلقائية وفي توصيف هيغل لعلاقة المجتمع بالدولة يصل إلى نتيجة  مفادها أن الدولة  أسمى من الناحية الأخلاقية من المجتمع المدني، بمعنى أن الدولة تفضي الشرعية  الأخلاقية على الأفراد بانتسابهم لها طواعية ومن ثم يغدو المجتمع المدني مساحة غير مستقرة ، وهو بحاجة الى الدولة حتى تصون مصالحه .

اذا يعتمد المجتمع المدني في نظر هيغل على الدولة حتى في قيام المجتمع المدني بوظائفه الأساسية : الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية التي لا يستقيم أداؤها من دون التنظيمات  التي تضعها الدولة، ووسيلة الدولة في توجيه أفراد المجتمع نحو غاياتها  الأخلاقية هي بالعمل من خلال الطوائف والاتحادات المهنية التي من دونها يتحول المواطنون إلى مجرد تجمع يفتقد إلى هوية (م.ك. السيد، 2001: 644)

الواقع أن هيغل لم يعتبر المجتمع المدني شرطا وإطارا طبيعيا للحرية، وإنما اعتبره فضاء للحياة الأخلاقية بوصفها ناتجا تاريخيا بتموضع بين مؤسستي العائلة والدولة، الدولة التي تحتوي اقتصاد السوق، وتضم الطبقات الاجتماعية والجماعات المهنية وكذلك المؤسسات المتعلقة بالإدارة التراتبية وبالحقوق المدنية

إن هيغل في تثمينه لدور الدولة في تحقيق الحرية والقانون، قاده إلى إضفاء صفة سلبية على مفهوم المجتمع المدني، حيث نفى أن يكون له أي دور في تحقيق التماسك المجتمعي، بل سيظل مجتمع المصالح الفردية والانقسام والصراع، ولا يجد خلاصه إلا في الدولة، ومن خلال هذه النزعة الهيغلية إلى رفع الدولة على حساب

كما يشير مصطلح المجتمع المدني إلى كافة الأماكن التي يجتمع فيها الأفراد معا للتحاور، والسعي إلى تحقيق المصالح المشتركة ومحاولة التأثير في الرأي العام أو السياسات العامة (جون سکوت [وآخرون]، 2009 : 340) الدلالة النظرية

تناول الكثير من الباحثين مفهوم المجتمع المدني، ووضعوا له تعاریف متنوعة ولكنها تكاد تجمع في سياقها العام على عدة أفكار رئيسية منها:

يشير المجتمع المدني إلى أشكال عديدة من الجمعيات، غالبا ما يطلق عليها جماعات طوعية أو مؤسسات ثانوية مثل الأسر والمؤسسات الدينية والنقابات وجماعات المساعدة الذاتية والجمعيات الخيرية ومؤسسات الأحياء والنوادي والمؤسسات الخاصة.

هذه المؤسسات التي توجد خارج الهياكل الرسمية لسلطة الدولة، تشير إلى مجال منفصل، يتوافر فيه للأفراد حرية مزاولة عدد متنوع من خبرات الحياة التي تتيحها الجمعيات المتنوعة التي يستطيع الناس الانضمام إليها.

- أحد الجوانب المهمة في المجتمع المدني أنه مجال منفصل عن سلطة الحكومة المركزية، وبدوره هذا يشجع على وجود مناخ يتيح لجماعات مختلفة الاستمرار في مساراتها الخاصة دون خوف من تدخلات الحكومة .

شمل المجتمع المدني شبكة المنظمات التطوعية بكاملها، والتي تنتشر متناثرة في شتى أنحاء مشهدنا الاجتماعي: مجموعات الحي والجمعيات المدنية والمؤسسات الخيرية وأماكن العبادة والعائلات والجماعات

وعلى الرغم من أهمية الدور المنوط بمؤسسات المجتمع المدني في تأسيس ثقافة المواطنة أو المدنية إلا أنه يمثل المجتمع المدني تحديا مفهوما ومعرفيا لثقافتنا السائدة لا فقط لغياب تقاليد الحرية والاختلاف والتسامح في الفضاء العمومي، ولكن أيضا الأخطاء بعض المنظرين لهذا المفهوم، ولعل أبرزهم سعيهم إلى إسقاطه على الواقع العربي بمنطق غربي لا يأخذ بعين الاعتبار خصوصية العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني، وجدلية المراحل في بناء الديمقراطية على أسس دستورية مؤسساتية ( عثمان بن طالب، 2009).

يطرح الحديث على المجتمع المدني في الواقع العربي، العديد من الإشكاليات النظرية والعملية، بسبب بنية الدولة الناشئة وظروف نشأتها التاريخية، والتناقضات التي نشأت فيها وهيمنة أصحاب المصالح والعصب وارتباطاتها الخارجية

أولى هذه التناقضات أن الدولة الناشئة ومؤسساتها القانونية والسياسية، قد فرضت على المجتمع وبالقوة من جانب القوى الاستعمارية المحتلة، وفي كثير من الأحيان تم انتقال مؤسسات القهر من العهد الاستعماري إلى عهد الاستقلال دون تغيير يذكر، وهذا النمط من الدول يعرف بالدولة ما بعد الاستعمارية، الدولة في هذا النموذج لا تعبر عن خصوصية ثقافية، ولا عن تطور تاريخي طبيعي، ولا عن خصائص المجتمع وتكويناته الاجتماعية والحضارية (علي الدين هلال، 2002: 48).

يضاف إلى ذلك أن الدولة في الوطن العربي لم تتأسس على قاعدة التحامها بمجتمعها، وإنما انطوت حداثتها على عملية تفكيك المجتمع التقليدي، دون أن يعقب ذلك عملية بناء مجتمع حديث وتطويره يمكن أن يكون الأساس الاجتماعي للدولة والركيزة الأساسية للتنمية السياسية، وهذا الأمر تسبب في عدم تحقيق دولة القانون والمؤسسات في العالم العربي من ناحية، وحال دون بروز المجتمع المدني الحقيقي من ناحية ثانية (ثامر کامل محمد، 2010: 29).

إن نشوء الدولة بهذه الكيفية والمواصفات التي ظهرت في العالم العربي، أدى إلى خلق سياسة دولية المجتمع القائمة أساسا على تحقيق الاحتكار الفعال لمصادر القوة

يتضح من هذا التعريف إن مشهوم المجتمع المدني يشير إلى المجال العام الذي يتبادل الأفراد فيه الأخبار والآراء والانطباعات والمشاعر ويدخلون في علاقة مع بعضهم البعض في إطار الحياة المدنية

**أولا: المجتمع المدني جزء من المجتمع يحتوي على مؤسسات مستقلة ومتميزة** عن العائلة والطبقة والمنطقة والدولة . ثانيا - المجتمع المدني يفعل نمطا من العلاقات بينه وبين الدولة، محتفظا بآليات ابقاء نوع من الانفصال بينهما، وعلى علاقات فعلية معها في الآن ذاته . ثالثا - المجتمع المدني هو المجال الأكثر اتساعا وشمولا للعادات المدنية، والتي **يمكن أن نطلق عليها بالتحضر (محمد الغيلاني، 2004 : 296).**

**فالمجتمع المدني هو مجال أوسع للنشاط الإنساني من المجال السياسي، فهو يضم جميع المؤسسات التي يعبر الأفراد من خلالها عن مصالحهم وقيمهم خارج مجال عمل الحكومة وبشكل مميز عنها.**

**على ضرورة ربط المجتمع المدني بالديمقراطية، باعتبار الأول شرطا أساسيا للثانية، فالمجتمع المدني هو مملكة الحرية إن ثقافة المواطنة تعتبر احدى تجليات الممارسة الديمقراطية عبر مؤسسات المجتمع المدني، والتي يعير المواطنون من خلالها عن حقهم في المشاركة الاجتماعية بواسطة الفعل السياسي، والتي يستدعي بدوره .إنسانا يملك من الحرية والقدرة على ادارة شؤونه**

**مع بداية عصر الأنوار، وظهزر الليبرالية السياسية حيث أرسی فلاسفة العقد الاجتماعي توماس هوير، جون لوك، وجان جاك روسو البدايات الفعلية لتلك المحاولات (س. م. ويب،2012: 201).**

**يبدو أن ظهور المجتمع المدني قد تزامن مع انتصار النهضة الأوروبية والثورات البرجوازية في القرنين الثامن والتاسع عشر، وما أعقبها من تحول النظام السياسي من ملكية مطلقة (تستند إلى الحق الإلهي المقدس) إلى ملكية دستورية أو جمهورية مفيدة بدستور وقوانين، لتضع مصطلح المجتمع المدني ضمن أولويات التغيير من النظام الإقطاعي إلى النظام البرجوازي (عبد الله حنا، 2002: 10).**

**في ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر، وإبان مسيرة التصنيع والتمدين شهدت المجتمعات الأمريكية والأوروبية تسارعا م ما في مجال تكوين الجمعيات الاجتماعية (غير العمالية مثل النوادي الرياضية، وكان للكثير من الجمعيات المؤسسة صلة بالمشاكل الاجتماعية المستجدة، وكانت توجد في الغالب تحت إدارة الطبقات الوسطى وفي الثلث الأخير من القرن التاسع عشر تكونت في ألمانيا خاصة في المدن - نوادي وجمعيات عمالية، إلى جانب النقابات والجمعيات التعاونية والأحزاب السياسية جمعيات تركز على التعليم والثقافة والتسلية (فرانك آدلوف، .(109-108 :2008**

**يظهر من خلال هذا، أن المجتمع المدني هو واقعة سوسيولوجية ارتبطت بالمجتمعات الغربية التي قامت أساسا على حق المواطنة والمساواة القانونية للمواطنين وشرعية الحكم ، وشهدت تطورا لطبقة برجوازية مدنية كانت بمثابة الخلفية الاجتماعية لنشأة حركات تنظيمية ومهنية.**